

(٥٣) من تراث الكوثري

نبراس المهدي

فى

اجتلاء أنباء العارف دمر داش المحمدي

قدس الله سره

بقلم الفقير إلى الله

محمد نراهد بن الحسن الكوثري

عفا الله عنه

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

٥١٢٠٨٤٧ ☎



(٥٣) من تراث الكوثري

نبراس المهدي

في

اجتلاء أنباء العارف دمر داش المحمدي

قدس الله سره

بقلم الفقير إلى الله

محمد مزاهد بن الحسن الكوثري

عفا الله عنه

الناشر



المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف

ت: ٥١٢٠٨٤٧

اسم الكتاب : نبراس المهتدي في إجتلاء
أنباء العارف دمر داش المحمدي

اسم المحقق : محمد زاهد الكوثرى

رقم الإيداع : ٩٠٦٧ / ٢٠٠٧

التاريخ : ٢٠٠٧/٤/٢٢

عدد الصفحات : ٤٨ صفحة ، ٢٤ سم

تدمك : ١٤٩٢ ٣١٥ ٩٧٧

موضوع الكتاب : تراجم المتصوفين

الناشر : المكتبة الأزهرية للتراث

العنوان : ٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر

الشریف

٩٢٢ / ٦٩

١٥٣٣٠٠

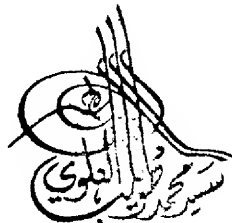


تمهيد

الحمد لله الذى أقام فى كل عصر من يُقتدى بهم فى سلوك سبيل الرشاد وأدام لهم فى الآخرين ذكراً جميلاً مدى الآماد. فجعلهم قادة لمن بعدهم فى صنوف الخير من الصفاء والوفاء وانتهاج مسلك السداد. والصلاة والسلام على سيد الأنبياء، وسند الأصفياء، سيدنا محمد إمام الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه القادة السادة المتقين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فيقول الفقير إلى الله سبحانه محمد زاهد بن الحسن بن على الكوثرى، غفر الله له ولوالديه ولقرباته ولمشايقه ولسائر المسلمين:

إن من العادات المستجادة الموروثة، والعوائد المستحسنة المأنوسة، فى خانقاه الدمرداشى شمالى القاهرة المحروسة، اختلاء السالكين كل سنة بالخانقاه المذكور، فى أواخر شهر شعبان المعظم المبرور، تركية للنفوس، وتصفية للقلوب على أصول الطريقة الخلوتية الدمرداشية المحمدية، المنسوبة إلى الولى الكبير أبى عبد الله محمد دمرداش المحمدى - قدس سره - ثم إجراء احتفال عظيم عند انتهاء مدة الاختلاء، استنهاضاً لهمم أرباب السلوك، إلى الإقبال الكلى على ملك الملوك وبهذه المناسبة الميمونة، تلقيت من فضيلة شيخ السجادة الدمرداشية الحالى، المنتهج



منهج المكارم والمعالي، المرشد النبيل، والسيد الأصيل، الأستاذ عبد الرحيم^(١) بن مصطفى مختار الدمرداشي، من هو على السجايا الكريمة ناشى - حفظه الله - دعوة للحضور، إلى الخانقاه المذكور، ليلة الاحتفال بختام ليالى الخلوة، فى هذه السنة المباركة، فحضرت بعد المغرب ليلة الجمعة الخامسة والعشرين من شهر شعبان المعظم من سنة ١٣٦٤هـ فتشرفت بمجلس فضيلة الأستاذ الداعى، المحوط برعايته ورعاية أخويه الكريمين، السيد مصطفى والسيد أحمد الدمرداشيين، ووجدت الخانقاه المذكور، مكتظ الغرفات، بمئات من المدعوين، والوجهاء والأعيان، وأصحاب المراكز العالية من رجال الحكومة، ورجالات الدول الإسلامية الشقيقة.

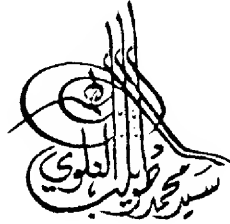
وتشرفت هناك بسمو الأمير سيف الإسلام السيد عبد الله نجل جلالة مولانا إمام اليمن الميمون، وبسعادة الأستاذ المفضال الحسيب النسيب محمد صادق المجددى الفاروقى، وزير الدولة العلية الأفغانية، وبسعادة الأستاذ الأصيل، ذى المجل الأئيل، السيد محمود جم^(٢) الكريم الشيم، سفير الدولة العلية الإيرانية بمصر المحمية - حرسها الله وسائر بلاد المسلمين - وغيرهم من سراة القوم فتجاذبنا معهم أطراف الحديث عن طرق التصوف، ولا سيما الطريقة الخلوتية الدمرداشية وتاريخها، واستنزلنا الرحمات على رجالها، إلى أن مدت الموائد الفاخرة، فى جنينة الخانقاه لمئات من المدعوين، ثم حضرنا بعد العشاء فى حفلة خروج السالكين من

(١) وأبوه من كبار القضاة حفظه الله، وجده لأبيه هو سعادة المرحوم مختار بك التركى مسدير جرجا، عاش عيشة الأمراء فى أبهة وكرم بالغ، وكانت داره الكبيرة فى الدرب الجديد بالسيدة زينب محشد أرباب الحوائج لما عرفوا فى صاحبها من العناية البالغة بأمرهم إلى أن انتقل إلى رحمة الله سنة ١٣٢٥هـ تقريبا أعلى الله منزلته فى الجنة، ومن حق التاريخ أن ينوه بذلك، ثم زالت تلك الدار، كأنها لم يسكنها ديار (ز).

(٢) سليل العارف الحكيم مولانا السيد محمد الشبستري التبريزى مؤلف "كلشن راز" ذلك الكتاب الخالد، وله شروح كثيرة منها شرح العارف الربانى الشيخ نعمة الله النخجوانى صاحب التفسير المشهور، ومن مؤلفات مولانا الشبستري أيضا "الحق اليقين إلى معرفة رب العالمين" (ز).

خلواتهم بانتهاء مدة الاختلاء، وشهدنا ذكر الله من مئات من المريدين العشاق بلسان واحد وبصوت يشق السبع الطباق، ويصل إلى الآفاق، وعند انتهاء الحفلة أخذ المدعوون في الانصراف إلى منازلهم، يشملهم كل إجلال وتكريم، من ذلك السيد المضيف الكريم، داعين لهذه الأسرة المنحدرة النسبة والنسب، من ذلك الولي المقصود للاسترشاد من كل حذب، بدوام تسلسلها مدى الأمد، رفيعة العماد رصينة الأوتاد، بأسقة الفروع مصونة الأصول موصولة الإرشاد، مع ازدياد في وجوه السعى لخير البلاد والعباد، مما يعود على المجتمع الإسلامي عامة وعليهم خاصة بكل إسعاد - بإذن الله سبحانه.

وهذا المشهد الروحاني الرائع ألهمني أن أكتب رسالة تجمع من شتات الكلمات في كتب الثقافات، ما يكشف النقاب عن سيرة هذا الولي العارف ونشأته وإسناد رجال طريقته، مع ضبط الأعلام والألقاب، وتحقيق الوفيات والأنساب إصلاحاً لما أرى في كتب لبعض الأعلام من أغلاط غير مقصودة سبقت إليها الأعلام، أو خطيئات مقصودة شطحت بها الأفهام، فكتبت هذه الرسالة بتوفيق الله جل جلاله لتبين ذلك كله على طريق الاختصار، إعادة للحق إلى نصابه، وخدمة للحقيقة بمبلغ علمي، ومدى فهمي، ورتبتها على مقدمة وفصلين وخاتمة، وسميتها: "نبراس المهتدى في اجتلاء أنباء العارف دمرdash المحمدي"، ومن الله التوفيق والتسديد.



المقدمة

فى ذكر إسناد الشيخ دمرداش المحمدى - قدس سره - من شيخه إلى حضرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، مع ضبط ما يحتاج إلى الضبط من أسماء الشيوخ وأنسابهم وألقابهم ووفياتهم، وذكر بعض أحوالهم باختصار، فالشيخ العارف المكاشف، أبو عبد الله شمس الدين محمد دمرداش المحمدى - قدس سره - أخذ أولاً عن الشيخ أبى العباس أحمد بن عقبة الحضرمى - وهو أوىسى روحانى التريبيه لا سند له من الجهة الجسمانية - ثم رحل إلى تبريز فى أذربيجان فأخذ عن الشيخ عمر ده ده الأيدىنى الروشنى^(٣). ثم التبريزى المتوفى فى تبريز سنة ٨٩٢هـ^(٤). وكان مولد العارف الروشنى هذا بلدة (آيدىن) فى ولاية (إزمير) - فى غرب الأناضول - ثم رحل إلى (بروسه) - العاصمة القديمة للدولة العثمانية - لتحصيل العلوم لكن ابتلى هناك بعشق مجازى اضطره إلى الرحيل إلى أخيه الشيخ علاء الدين الخلوتى فى (قرمان) - من خلفاء العارف السيد يحيى الشروانى، فتأب وأتاب عنده وتذوق التصوف ثم بعثه أخوه إلى السيد يحيى الشروانى فى (باكو) واكمل بدره عنده وتذوق التصوف فأجازه بالإرشاد فتنقل هناك فى كثير من البلاد بأمر شيخه إلى أن استقر فى (تبريز) يرشد المسترشدين فكثرت جماعته إلى أن بلغت نحو عشرين ألفاً فنصب عليهم عدة خلفاء، وجعل سلوك الطريق على أيدي هؤلاء

(٣) آيدىن بمعنى النير فى لغة الترك ثم سمي به البلد المعروف تسمية باسم حاكمه وروشن بضم الراء وفتح الشين بمعنى النير أيضاً فى لغة الفرس، فانتسب هذا العارف الربانى روشنيا فى أشعاره للإشارة إلى بلده من بعد وإن لم يبق هذا المعنى بعد العلمية و(ده ده) بفتح الدالين من غير نطق بالهاءين المزيدين لمجرد إيدان فتح ما قبلهما بمعنى الجد فى لغة الترك يلقب به بعض كبار شيوخ التصوف باعتبار أنه بمنزلة الجد للمسترشدين بتلاميذه (ز).

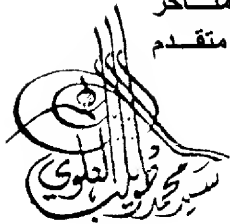
(٤) بإجماع المترجمين له وتاريخ موته (موت موت) فما وقع فى طبقات المناوى أنه توفى فى القرن السابع سبق قلم قطعاً وإلا فكيف يمكن أن يتصور أن يكون شيخ دمرداش المتوفى سنة ٩٢٩هـ من رجال القرن السابع (ز).

واحتجب هو عن مريديه فى خلوته، وكان جلالى المشرب، شديد التأثير على السالكين، وكان يقول: قالوا إن الطريق أربعة وعشرون قيراطا؛ ثلاثة وعشرون منها أدب. وأنا أقول كلها أدب. كما ذكره المناوى فى ترجمته.

والروشنى هذا أخذ عن السيد يحيى جلال الدين بن السيد بهاء الدين الشروانى الباكوى - قدس سره - صاحب ورد الستار - المتوفى سنة ٨٦٧هـ فى التحقيق^(٥). فى بلدة (باكوى) بضم الكاف - وهو المنتهى الشرقى لجبل القوقاس المعروف بينابيع النفط، والنسبة إليه (باكوى) لا (باكورى) كما وقع فى بعض الأسانيد غلطا - وشروان بالفتح إقليم معروف فى الجنوب الشرقى من جبل القوقاس، ولد السيد يحيى هذا فى (شماخى) بالفتح - قاعدة إقليم شروان - ثم انتقل إلى (باكوى) كما بينت ذلك فى (البحوث السننية عن بعض رجال أسانيد الطريقة الخلوتية) - إلى السيد مصطفى البكرى قدس سره - ومولانا الباكوى أخذ عن الشيخ صدر الدين عمر الخياوى (بالفتح) المتوفى سنة ٨٣٩هـ تقريبا، وقبره قرب (كنبد كبود) فى نواحى شماخى كما فى ترجمة (النفحات)، ونسبته إلى (خياوة مشكى) اسم قريتين متجاورتين بشروان، والصواب فى نسبته (الخياوى) بفتح الخاء، وكل ما سوى هذا الضبط فى الكتب فتصحيف وتحريف - وهو أخذ عن الحاج عز الدين^(٦) الشروانى المتوفى سنة ٨١٥هـ تقريبا، وقبره قرب (دروازه مير على) فى نواحى شماخى، وهو أخذ عن الأخ محمد بيرام الخلوتى المتوفى سنة ٧٨٠هـ تقريبا - واسمه يصحف إلى ميرم ومرمر ونحو ذلك - وهو يعد

(٥) كما يدل عليه (جانشين جنت) - بمعنى المتبوء مقعده فى الجنة - وهو تاريخه المشهور بين أصحابه. (ز).

(٦) وفى (ص ٣٢) من السلاسل الذهبية ذكر صدر الدين الخيالى وعز الدين الصوفى والجمال الشيرازى باعتبار أنهم من رجال السند لكن لا صلة لهم بما هنا لأن الأول مصرى متأخر معاصر للشعرانى، والثانى مصرى لا شأن له بشروان، والجمال فى السند تبريزى متقدم وهذا شيرازى متأخر، وعد الشهاب شيرازيا خطأ. (ز).



من الفتیان الأخوية^(٧) الذين يخاطب بعضهم بعضاً بلفظ (أخى)، ولذا يزداد فى اسم كل منهم لفظ (أخى)، والأقرب إلى الذوق العربى أن يقال بدله (الأخ) فقط فيكون هذا مدعوا بالأخ بيرام الخلوتى - وبيرام بمعنى العيد فى الأصل - وهو شروانى أيضاً، وأخذ هو عن الشيخ عمر الخلوتى، الشروانى المتوفى سنة ٧٣٩هـ تقريباً وهو أخذ عن والده الشيخ محمد بن نور الخلوتى الخوارزمى الأصل المتوفى سنة ٧٢٥هـ تقريباً، ويقال إن قبره بأنقرة، وإن صوته بالذكر كان يسمع فى خوارزم من أربعة فراسخ كما فى (ترجمة النفحات)، والله أعلم، وإليه نسبة الخلوتية كما فى "تاريخ الجبرتى" عند ترجمة الحفناوى وفى "فتح رب الأرباب فى الأنساب"، وهو رئيس الطائفة الخلوتية على الإطلاق، وهو أخذ عن الشيخ تاج الدين إبراهيم الزاهد الكيلانى المتوفى سنة ٧٠٠هـ المدفون فى (سيارود) فى (كيلان) كما فى "تاريخ العراق فى عهد الصفويين" للأستاذ العزاوى - حفظه الله - وهو البادئ بالتسليك بالأسماء السبعة وبمراعاة الأطوار السبعة، وكان زميل الشمس التبريزى عند الجمال التبريزى. والكيلانى هذا تفرع منه الخلوتية والجلوتية، وهو أخذ عن جمال الدين التبريزى المعروف بابن الصيدلانى المتوفى سنة ٦٦٠هـ تقريباً، وهو أخذ عن الشهاب محمد بن محمود التبريزى المتوفى سنة ٦٣٩هـ تقريباً، وهو أخذ عن الشيخ ركن الدين أبى الغنائم محمد بن الفضل الزنجانى (السجاسى) المتوفى سنة ٦٢٥هـ تقريباً، وهو أخذ عن قطب الدين محمد بن أحمد الأبهري المتوفى سنة ٥٩٠هـ تقريباً، وهو أخذ عن أبى النجيب عبد القاهر بن عبد الله البكرى السهروردى^(٨) المتوفى فى بغداد سنة ٥٦٣هـ عن ثلاث وسبعين سنة، وله "آداب المريدين" شرحه على القارى شرحاً جيداً بعد أن تصوف، وتفرع من أبى النجيب طرق كثيرة كالكبروية والمولوية والسهروردية والخلوتية والجلوتية وغيرها كما

(٧) وفيهم تاريخ خاص، وينكرهم ابن بطوطة فى رحلته بكثرة. (ز).

(٨) سهرورد بضم فسكون ففتح بلدة عند زنجان بالفتح، وكذا أبهر بفتح فسكون، وزنجان فى حدود أذربيجان، وورد فى بعض الكتب السنجاتى بدل الزنجاتى وهو تحريف. (ز).

يظهر من "تبيان وسائل الحقائق في بيان سلاسل الطرائق" للشيخ كمال الدين الحريري أمين مكتبة السلطان محمد الفاتح باسطنبول المتوفى بها سنة ١٢٩٩هـ — وهذا الكتاب في حكم معجم كبير عن الطرائق الصوفية؛ يتحدث مؤلفه فيه عن مائة وخمسين طريقة من طرق التصوف، ولم أطلع على أوسع من هذا الكتاب في هذا الموضوع، وكان معروضا للمطالعة في مكتبة الفاتح كعارية تحت تصرف شقيق^(١) المؤلف أحد أمناء المكتبة، في ثلاثة مجلدات بخط المؤلف — ولأبي النجيب أسانيد: أحدها عن الشيخ أحمد الغزالي (أخي حجة الإسلام) المتوفى سنة ٥٢٠هـ، عن أبي بكر بن عبد الله الطوسي النساج المتوفى سنة ٤٨٥هـ تقريبا، عن أبي القاسم (عبد الله) بن علي الكركاني المعمر المتوفى سنة ٤٦٩هـ، عن أبي عثمان سعيد بن سلام المغربي المتوفى سنة ٣٧٣هـ، عن أبي علي الحسن بن أحمد الكاتب المصري المتوفى سنة ٣٤٣هـ، عن أبي علي محمد بن أحمد الروذباري المتوفى سنة ٣٢٢هـ عن سيد الطائفة الجنيد عن خاله السري السقطي عن معروف الكرخي عن داود الطائي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن علي كرم الله وجهه، وتراجم هؤلاء ووفياتهم معروفة، ويناصر كثير من الحفاظ مثل الضياء المقدسي والجلال السيوطي رواية الحسن البصري عن علي عليه السلام كما هو مبسوط في كتب القوم، وأما السند الثاني لأبي النجيب فعن عمه وجيه الدين أبي حفص عمر القاضي — المترجم له في تاريخ ابن الجوزي — المتوفى سنة ٥٣٢هـ في بغداد، وهو عن والده نجيب الدين محمد المتوفى سنة ٤٧٥هـ تقريبا، [وهو عن أبيه عبد الله عمويه بن سعد البكري المتوفى سنة ٤٢٥هـ تقريبا]، وهو عن أحمد الأسود الدينوري، وهو من الذين عاصروهم القشيري كما ذكره في رسالته فيكون أحمد الأسود معمرا عاش إلى حدود سنة ٣٨٠هـ لأن شيخه ممشاد علو الدينوري توفي سنة ٢٩٩هـ بعد وفاة سيد الطائفة الجنيد رضي الله عنهم أجمعين.

(٩) وكان يفكر في طبعه ويقول: إن بعض المستشرقين يرغب في ذلك ولا أدري ماذا حدث بعد مغادرتنا قبل ٢٣ سنة. (ز).



وممشاد بفتح الميم الأولى وإسكان الميم الثانية، وعلو: محرف من على، كتحريف محو وحسو من محمد وحسن في لهجة الأكراد الدينوريين، وأما السند الثالث فعن عمه المذكور عن الأخ فرج الزنجاني المتوفى سنة ٤٥٧هـ، عن أبي العباس أحمد بن محمد بن الفضل النهاوندى المتوفى سنة ٤٣٥هـ تقريبا، عن أبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازى المتوفى سنة ٣٧١هـ عن رويم بن أحمد المتوفى سنة ٣٠٣هـ، عن الجنيد بسنده - رضى الله عنهم أجمعين - وهذا القدر من البيان كافٍ في هذا المقام، ومن أراد المزيد على ما هنا فليراجع الكتب المبسطة.

الفصل الأول

فى ترجمة العارف الربانى الإمام أبى عبد الله محمد دمرداش بن عبد الله المحمدي- قدس سره- وقد ترجم له كثير من أهل العلم، من أمثال الشعراوى والعلائى وابن طولون والمناوى والنجم الغزى وعبد الغنى النابلسى- رحمهم الله- وأتمهم ترجمة له وأجمعهم لأحواله - فيما أعلم - هو الشيخ عبد الرعوف المناوى الصوفى المحدث المتوفى سنة ١٠٣١هـ عن (٧٩) سنة لأنه درس أحواله عن كَتَبٍ حيث تلقاها من كبار أصحابه، وأصحاب أصحابه، مع سلوكه على طريقته وإن غلط فى تحديد وقت سياحته وتاريخ وفاته تقليدا للشعراوى المعروف بالتساهل فى تحديد الوفيات والتواريخ، وقد قال المناوى فى "الكواكب الدرية فى طبقات الصوفية" فى ترجمة العارف المذكور: (دمرداش المحمدي الجركسى^(١٠) ذو المجاهدات الغزيرة، والفضائل الشهيرة).

ثم ذكر أنه كان فى خدمة السلطان قايتباى الجركسى ثم قال: (وسبب سلوكه الطريق أن السلطان أرسله بكيس فى ضمنه دنانير إلى الشيخ أحمد بن عقبة الحضرمى، المتقدم ذكره، فردده الشيخ فأبرم عليه دمرداش فى قبوله فأخذه وعصره فتحلل وتحلب كله دما عبيطا وقال: "هذا ذهبكم"؛ فذهل دمراش، وطاش عقله، وتاب ثم عاد للسلطان) ثم ذكر أنه سأل إغفاء من الخدمة بإلحاح ففعل ثم قال: (ثم عاد

(١٠) نسبة إلى جركس وهو من الجنس الأبيض القوقاسى المعروف عند الجغرافيين والنسابة، وبعده الغربيون من الآريين، والجنرال عزت باشا يطيل الكلام فى مؤلف خاص فى التذليل على أن الجراكسة من بقايا الحيثيين، ويبراهم ابن خلدون والبدر العينى من شعوب الترك، يريدان أنهم من الجنس الأبيض المشترك، لأنه تحقق عند الباحثين أن الترك فريقان؛ فريق المستترك من الجنس الأبيض، وفريق الترك من الجنس الأصفر، كالعرب المستعربة إزاء العرب العاربة، وفى المجالس السلطانية الغورية وتاريخ ابن إياس أنهم من الغساسنة، وفى "قهر الوجوه العباسية" بذكر نسب الجراكسة "أنهم من بنى عامر من قریش والله أعلم على أن الناس سواسية، لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى. (ز).



إلى الشيخ فأخذ عنه ولازمه فلما مات^(١١) ساح حتى وصل توريز^(١٢) فأخذ عن العارف المكاشف عمر الروشنى^(١٣) ؑ فأقام عنده مدة وأشغله بالذكر الجهرى ثم بعد مدة قال له: "ارجع إلى مصر حتى يقرب الأوان"، ثم توجه إليه مرة ثانية هو والشيخ شاهين وسنطباى (سنطباى) والثلاثة جراكسة فأشغلهم بالذكر السرى وأخلاهم مرارا ففتح عليهم فأجازهم وأمرهم بالعود إلى مصر لنفع أهلها فلما وصلوا إلى ظاهر البلد قال دمرداش ؑ: لا أدخلها بل أقيم هنا. وذلك محل زاويته الآن.

وقال شاهين ؑ: يعجبني ذيل العارض بسفح الجبل وهو محل زاويته الآن، فتوجه إليه ولزمه حتى مات (يعنى سنة ٩٥٤هـ)، ونزل الثالث فى (المدرسة) السنقرية (يعنى القراسنقرية بباب النصر عند سعيد السعداء) وتجميل بالملابس والفرش، وتردد إليه الأكابر، ثم اتهم بعمل الكيمياء، ففقر الأكثر منه (حتى أبعد سنة ٩١٢هـ فى عهد قانصوه الغورى إلى فلسطين)، وصارت الشهرة العظيمة

(١١) يعنى الحضرمى لكن وفاته سنة ٨٩٥هـ على ما فى "الضوء اللامع" و"تاريخ ابن إياس" فى طبيعته فلا يصح تأخر سياحة دمرداش إلى ما بعد هذا التاريخ لأن الروشنى توفى قبل هذا التاريخ بثلاث سنوات اتفاقا فلا يتصور رحيل دمرداش إلى الروشنى بعد وفاة الحضرمى، وإن تابع المناوى الشعراوى فى ذلك الغلط ولو علما تاريخى وفاتهما ما وقعا فى ذلك الغلط، والواقع أن الحضرمى أوىسى لا سند له فإتما كان بصحبه من يصحبه فى مبادئ السلوك ثم ينتقل حيث يكون التسليك المسلسل المتصل السند، فتكون رحلة دمرداش إلى تبريز قبل وفاة الحضرمى بدهر حتما. (ز).

(١٢) وهو الجارى على السنة العامة، والصواب عند الخاصة (تبريز) بكسر المثناة كما فى اللباب لابن الأثير (ز).

(١٣) قال المناوى فى ترجمة الروشنى (لما أراد دمرداش السفر إليه من مصر أعطاه إبراهيم المواهبى^(*) كيسا ليدفعه إليه فدفعه إليه فإذا فيه مسمار أعوج، ولوح وقصعة. فقال الروشنى: أترون ماذا أراد؟ أما المسمار فيقول إن قلبه فى صلاية وقسوة واعوجاج وقد ليناه وقومناه، وأما اللوح فيشير به إلى خلو قلبه من المعارف فقد نقشناه، وأما القصعة فيقول إن وعاءه فارغ فقد ملأناه. فكله هكذا وبينهما تلك المسافة (ز).

(*) كان شاذليا توفى سنة ٩١٤هـ وضريحه قرب قنطرة سنقر كما فى "شذرات الذهب"، وذكر فى "الخطط التوفيقية" (٢ - ١٢٨) أن قبره فى شارع الشعراوى رحمهما الله (ز).

لدمرداش واستقر شيخ الخلوتية بالديار المصرية، ولما نزل فى محل زاويته الآن قال له العارف المتبولى^(١٤) ﷺ: "كُلْ من عمل يدك، وإياك والأكل من صدقات الناس وأوساخهم". فاستأذن قايتباى فى إحياء ذلك الموضع، فأذن له، فأقام يغرس النخل، ويسقى نحو خمس سنين، وهو فى خُصٍّ هو وزوجته فغرس ألف نخلة، لم تخطئ منها واحدة، ويقال: إنه وضعها على شكل مربع مائة فى مائة بالتحريير على طريق وضع الأوفاق العددية، ووقفها أثلاثاً: الثلث لمصالح الغيط، والثلث لذريته والثلث للفقراء الواردين والقاطنين، وكان لا ينام إلا قليلاً وفى غالب الليل يمشى حول الغيط والزاوية، وهو يتلو القرآن. وكان مهيباً، وأمره كله جدٌ، لا تجده فى غير عمل صالح، إما يجر السواقى بيده أو النواريج أو يعزق حوق النخل، أو يشد القواديس، أو يفتل الطونس^(١٥). أو يطحن، أو يعجن، أو يبنى، أو يقرص العجين.

قال الشعراوى ﷺ: أقام عنده الفقراء الصادقون، وانتفعوا به، واستخلف جماعة منهم: الشيخ حسن الجركسى، والشيخ محمد الحانوتى، والشيخ كريم السدين ابن الزييات، وهو الذى أحيا طريقة شيخه بعده، وليس بمصر زاوية يأكل فقراؤها حلالاً، كزاوية دمرdash، فإن وقفها من عمل يد الشيخ لا منة لأحد على الفقراء، بل عمل ولى عارف، وكان إذا غلبه الحال يأكل الأرب من الأرز المففل، وعزم عليه بعض الأمراء فذهب إليه فقال: أين الفقراء؟ فإنى عملت لهم طعاماً كثيراً. قال: أنا آكله. فقعد على السماط وصار يأكل وعاءً وعاءً حتى أكله كله، وقال: حملنا حسابه عن إخواننا الفقراء، وكان الطعام يكفى ثلاثمائة رجل^(١٦).

(١٤) إبراهيم بن على توفى سنة ٨٧٧هـ فيكون دمرdash قديم الرحلة إلى الروشنى (ز).
(١٥) حبل من ليف تشد به القواديس وهى دلاء الساقية التى ترفع الماء، والعزق شق الأرض ومنه المعزقة. (ز).

(١٦) وأصل الحكاية فى الطبقات الوسطى للشعراوى كما سيأتى ونقلها منها المناوى والنجم الغزى وغيرهما. (ز).



ومن كلامه قدس سره: "من الناس من وحد الله بما تجلى لقلبه عند فكره، ومنهم من وحده بنور وحده في قلبه لا يقدر على دفعه"، وقال لما قطع يد الحلاج ورجله: "كتب دمه على الأرض الله الله، واقتصدت زليخا، فكتب دمهها يوسف يوسف، في مواضع كثيرة، وذلك لجريان ذكر اسمه مجرى الدم في عروقها" وقال: "من فهم الإشارات، قدمت له البشارات، ومن لم يفهم فليقف على باب ربه خاضعا خاشعا مطرقا فقيرا ذليلا لا شيء معه عند باب مولاه عسى أن يتولاه ويفتح له بابا لا يغلق، وينزل عليه فيضا لا ممسك له".

وقال: "إذا ولى الله خليفة على قوم يعطيه عقولهم وأسرارهم فيكون مجمع رعيته فمتى خانهم في أسرارهم ظهر ذلك فيهم، وإن اتقى الله فيهم ظهر ذلك عليهم".

وقال: "الاصطلام الكلى أن يغيب العبد عن العبودية والربوبية وعن جميع العالم ولا يشهد إلا الحقيقة الإنسانية من حيث الحقيقة"، وقال: "بلغنى عن إسماعيل^(١٧) الجبرتي رحمته الله أنه قال لبعض تلامذته، عليك بكتب ابن عربى رحمته الله، فقال: يا سيدى إنى أصبر حتى يفتح على من حيث الفيض".

قال: "الذى تريد أن تصبر له عين ما ذكره الشيخ فى الكتب". قال صاحب الترجمة: "وذلك لتقريب المسافة البعيدة وتسهيل الطريق عليهم لأن الرجل قد ينال بمسألة من مسائل علمنا هذا ما لا يناله بمجاهدة خمسين سنة لأن السالك إنما ينال ثمرة سلوكه وعمله، والعلوم التى وضعها الكمل ثمرة سلوكهم وعملهم الخاص، فإذا فهم المريد ما قصدوه من وضع المسألة فى الكتاب وعلمها استوى هو ومصنفه فى معرفة تلك المسألة فنال بها ما نال المصنف، وما ورد عن بعض الأولياء من منع بعض تلامذته من مطالعة كتب الحقيقة فلاشرافه على قصور ذلك المريد عن فهمها

(١٧) هو كبير الصوفية فى زبيد اليمن إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي وقد ترجم له السخاوى فى الضوء (٢ - ٢٨٣)، وكانت وفاته سنة ٨٠٦ هـ عن بضع وثمانين سنة (ز).

لأن قاصر لفهم إما أن يتأول كلامهم على غير مرادهم فيستعمله فيهلك أو يضع عمره في تصفح الكتب بلا فائدة، وأما من لهم فهم وقوة إيمان وإيقان فيأخذ من كتبهم كل مأخذ وينال منها كل مطلب".

وقال: "وقد رأيت في زمننا طوائف كثيرة من كل جنس من عرب وفرس وهند وغيرها بلغوا بمطالعة كتب الحقيقة مبلغ الرجال، ونالوا بها المقاصد والآمال فمن أضاف بعد ذلك إلى علمه فضل سلوك واجتهاد صار من الكمل، وقد رأيت صبياناً من أهل الطريق من إخواني بلغوا بمطالعة الكتب في أيام قليلة ما لم تبلغه رجال باجتهادهم أربعين سنة أو خمسين سنة على أنهم كانوا سبباً لدخول هؤلاء الصبيان في مطالعة الكتب وفهمها لكنهم تأخروا عن مآلهم فصار الصبيان شيوخاً والشيوخ صبياناً؛ فمطالعة الكتب عن المحققين أفضل من أعمال السالكين، ومجالسة أهل الله مع الأدب أفضل من مطالعة الكتب؛ فعليك بملازمة الشيوخ فإن لم تجدكم فلازم مطالعة كتب الحقائق واعمل بمقتضاها تصل لمقصودك وتقع بذلك على معرفة معبودك". اهـ.

ثم قال المناوي: (مات رحمه الله سنة نيف وثلاثين وتسعمائة) وهنا انتهى كلام المناوي في ترجمة العارف دمرdash المسمى فشفى وكفى من كل ناحية غير أنه تابع الشعراوي في ذكر وفاته لكن الشعراوي على جلالته قدره له نواحٍ يتساهل فيها، منها ذكره لوفيات المشايخ كما لا يخفى على من درس كتبه في التراجم ممن له حظ في علم التاريخ؛ تراه يقول في الشيخ شاهين أنه توفي سنة نيف وثلاثين مع أنه توفي سنة ٩٥٤هـ وفي الشيخ دمرdash أنه توفي سنة نيف وثلاثين أيضاً مع أنه توفي سنة ٩٢٩هـ^(١٨) قبل انتهاء السنة بأربعة أيام كما سيأتي والنيف يحتمل

(١٨) فلا يصح ما ذكره الأستاذ المرحوم مصطفى^(٢) منير بك أنهم من حضور محمد بن إلياس القاضي في جنازته لأنه إنما ولي قضاء مصر بعد وفاة القطب الكبير بأربع سنوات فلعله غلط عن حضوره في جنازة ابنه محمد المتوفى سنة ٩٣٨هـ لأن قضاءه استمر إلى ما بعد



عددا إلى العقد الذى يلى الثلاثين فإذا كان التساهل بأيام فى التاريخ مردودا فماذا يكون حال من يتساهل فيه بعدة سنوات؟ ولذلك أمثال كثيرة فى كتبه، والصواب وفاة الشيخ دمرداش - قدس سره - هو ما ذكرناه وهو الموافق لنص ابنه المنقول من خطه فى "الرحلة الكبرى" للشيخ عبد الغنى النابلسي - رحمه الله - كما سيأتى ونسبة صاحب الترجمة محمديا، من جهة أنه كان هائما كل الهيام، فى حب سيدنا محمد ﷺ، ومغرما كل الغرام بحب المصطفى عليه الصلاة والسلام بحيث لا يفتر ساعة عن ذكره والصلاة عله تسكيناً لأوام قلبه الممتلى بعشق حضرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وقد ذكر الأستاذ المرحوم أحمد رفعت بن محمد أمين الاسطنبولي فى "اللغات التاريخية والجغرافية" - وهى دائرة معارف له فى سبعة مجلدات - فى ترجمة الأشرف قايتباى فى (٥ - ٢٦٤) نبأ من قبيل ما يروى عن نور الدين فى الإسراع إلى الروضة المطهرة، بإشارة نبوية عند محاولة لبعض المخذولين الاعتداء عليها، ومن المتناقل بين أصحاب العارف دمرداش قدس سره: أن له صلة بهذا النبأ فيستحق بهذا أيضا أن ينسب محمديا لهذه النسبة القوية الروحية والله سبحانه أعلم بأسرار عبادته، وقد لزم الشيخ عبد الوهاب الشعراوى، الشيخ دمرداش - قدس سره - نحو خمس سنوات وأخذ عنه وعده شيخا لنفسه كما تراه يقول فى (ص ١٤٨) من كتابه "لواقح الأنوار القدسية فى بيان العهود المحمدية". .. وأخبرنى شيخنا الشيخ دمرداش المحمدى المدفون خارج مصر فى طريق بركة الحاج.. إلى آخر ما ذكره هناك، وذكر فى كثير من كتبه كثيرا من أقواله وأحواله وترجم له فى "الطبقات الوسطى" و"الطبقات الكبرى"، وعليهما يعول كثير ممن

هذه السنة وأما ما ذكره بشأن سنان باشا فبعيد عن الإمكان لكون ولايته على مصر سنة ٩٧٥هـ، وتأخر حضوره إلى مصر (ز).

(*) توفى سنة ١٣٦٤هـ رحمه الله وكانت له مقالات ممتعة فى انجراند، وكان صهر المرحوم عبد الرحيم باشا الدمرداشى على بنته الكبيرة، وكان من كبار المؤلفين فى التنظيم، عالم باحثة، له مؤلفات نافعة أعلى الله منزلته فى الجنة. (ز).

ترجم له بعده فالأولى غير مطبوعة والثانية مطبوعة لكن من أصل سقيم، وإليك نص ما قاله الشعراوى فى "لواقح الأنوار القدسية فى مناقب العلماء والصوفية" المعروفة بالطبقات الوسطى المنقولة من خط المؤلف سنة ١٠٢١هـ المحفوظة فى دار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٢٣ فى قسم التاريخ فى عنود الرجال الذين أدركهم وخدمهم وأخذ عنهم. (ومنهم الشيخ الصالح الورع الزاهد صاحب المجاهدات الكثيرة والأكل من عمل يده الشيخ دمرداش المحمدى أجل أصحاب سيدى الشيخ أحمد بن عقبة المغربى^(١٩) المدفون فى حوش السلطان برقوق بصحراء مصر المحروسة فلما مات شيخه المذكور ساح فى البلاد إلى أن وصل إلى توريذ العجم فصحب الشيخ العارف بالله تعالى صاحب الكشوفات والمعارف سيدى عمر روشنى فأقام عنده مدة ثم رجع إلى مصر فنزل بالبرية خارج الحسينية فسأل من السلطان قايتباى أن يأذن له فى إحياء أرض زاويته وأرض الغيط بالنخل فأذن له فأقام يغرس ويسقى نحو خمس سنين وهو فى خُص هو وزوجته أم سيدى أحمد ومصطفى فغرس ألف نخلة فلم يخب منها واحدة وليس فى مصر أحلى ثمرة منه حتى إن بعض السوقة يخلط منه على بلحه ويبيع على حسه من شدة حلاوته وقال لى: "يا عبد الوهاب ما غرست نخلة قط إلا على اسم الفقراء والمساكين الذين أنا من جملتهم"، وذكر أن سيدى إبراهيم المتبولى هو الذى أشار عليه بذلك وقال له: "يا دمرداش! كل من عمل يدك وإياك والأكل من صدقات الناس فإنهم يتقاسمون حسناتك فى الآخرة"، وقد وقف ڤ ما ملكه من الغيطان وقسمه ثلاثة أثلاث؛ ثلث يرد على مصالح الغيط، وثلث للذرية، وثلث للفقراء والمساكين القاطنين والواردين

(١٩) كان يمتا حى لا مغربيا إلا أن أمه كانت منتمية إلى أبى مدين المغربى كما ذكره المناوى، وقد ترجم له فى نحو صفحة ونصف صفحة، وذكر أن الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسى المالكى الفاسى المعروف بزروق أخذ عنه. ولزروق مؤلفات كثيرة فى الفقه والتصوف وهو صاحب "قواعد التصوف" توفى سنة ٨٩٩هـ رحمه الله. ولأحمد بن عقبة أيضا مؤلفات منها (المراصد) شرحه زروق. (ز)



وجعل على القاطنين كل يوم ختما يقرأونه ويهدونه^(٢٠) للنبي ﷺ وللشيخ محيى الدين ابن العربى رحمه الله، كل طائفة يقرأون عشرين حزباً ثم يختمون قبيل الغروب، صحبتته نحو خمس سنين وبث عنده ليالى كثيرة فكان رحمه الله عنه لا ينام من الليل إلا قليلاً، وفى غالب لياليه يمشى حول الزاوية والغيط وهو يتلو القرآن إلى الفجر إلى أن عمل السور المحيط على الزاوية، فكان يجلس طول الليل فى الخلوة ولا ينام فى بيته إلا فى النادر.

وأرأنى مرة خشونة يده وقال: انظر موضع الفأس، وكان رجلاً مهيباً وأمره كله جد، لا تكاد تجده فى ليل أو نهار فى غير عمل صالح إما بجر السواقى بيده وإما بجر النواريج، وإما بعزق حول النخل، وإما يشد القواديس، وإما يفتل الطونس، وإما يدرس، وإما يطحن، وإما ينقى الطحين من الحجر والطين، وإما يبنى، وإما يضرب طوباً، وإما يكب تراباً، وإما يقلم النخل، وإما يقرص العجين أقام عنده الفقراء الصادقون، وانتفعوا به، واستخلف منهم جماعة، وأذن لهم بالتسليك فى مصر منهم الشيخ حنن الجركسى، والشيخ محمد الحانوتى، والشيخ كريم الدين بن الزيات، وهو الذى أحيا طريقة شيخه بعده، وزاوية الشيخ دمرداش عامرة بالسماط والفقراء، وليس فى مصر زاوية يأكل فقراؤها حلالاً مثلها لأن وقفها من عمل الشيخ بيده، لا منة لأحد فيه على الفقراء، ولا رياء فيه ولا سمعة، بل عمل ولى عارف بالله تعالى، وهذا قل أن يقع لشيخ فى عصر من الأعصار، إنما يأكل فقراء زاوية ذلك الشيخ من أوقاف الناس من الولاة وغيرهم، وكان رحمه الله عنه إذا غلب عليه

(٢٠) يدل هذا على أنه كان حنفياً لأن أبا حنيفة هو الذى يرى إهداء القرب كلها حتى التلاوة، وكان الشيخ شاهين - أخو الشيخ دمرداش فى الطريق - حنفياً مثله، وكان يعد قول الغزالي فى أبى حنيفة فى "المنحول" من نزوة الشباب، وقوله فيه فى "الإحياء" رجوعاً إلى الحق بعد أن تصوف. (ز)

الحال يأكل نحو الأربب المغفل من الأرز، وعمل له مرة الأمير أقبردى^(٢١) الدودار سماطا وأرسل للشيخ يقول له: "انت بجميع أصحابك"، فلم يأت الشيخ معه بأحد فجلس على السماط؛ ذكروا أنه كان يكفى خمسمائة نفس فقال الأمير: "أما تنتظرون الجماعة؟" فقال الشيخ: "أنا أسد عنهم"، فصار يأكل من الإناء ويلحسه حتى أكله كاملا، وقال: "لم أشبع"، فأتوه بكسر يابسة وبقية الطعام الذى غرفوه على اسم الغز والعيال فأكله؛ فاعتذر الأمير للشيخ، فقبل للشيخ: "كيف أكلتم ذلك كله؟"، فقال: رأيت شبهات فحضرت بطائفة من الجن فأكلوه وحميت الفقراء منه. مات ١٠٠٠ سنة نيف وثلاثين وتسعمائة ودفن بزاويته. اهـ.

فعلم من ذلك أن للعارف بالله دمرdash الكبير من الأبناء سيدى أحمد وسيدى مصطفى غير ابنه سيدى محمد الذى قام مقامه بعد وفاته كما سيأتى، وقد سبق بيان أن منشأ غلط المناوى فى تاريخ وفاة دمرdash الكبير هو ما وقع فى كلام الشعراوى فى طبقاته وأنت رأيت تص كلامه المغلوط فيه هنا، ومثله فى الطبقات المطبوعة^(٢٢) للشعراوى، ومن جملة ما يقول فيها: (ومنهم سيدى الشيخ دمرdash المحمدى ١٠٠٠ أحد جماعة سيدى عمر الروشنى بمدينة توريز العجم ١٠٠٠، كان على قدم السلف الصالح من الأكل بعمل يده والتصدق بما فضل، وعمل الغيط المجاور لزاويته خارج مصر..). إلى آخر ما ذكره فيه بإيجاز، وما فى "الوسطى" أتم، وقد نقلناه بنصه، ويغنى ذلك عن نقل تمام ما فى "الكبرى" المطبوعة، ولا أدرى من أين أتى التسمية بالكبرى للطبقات المطبوعة مع أن المخطوط الذى نقلنا منه أتم وأوسع،

(٢١) كان من كبار الأمراء فى عهد قايتباى ومن قرابته. توفى سنة ٩٠٥ هـ كما فى تاريخ ابن إياس. (ز)

(٢٢) وهى المسماة "لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار" المعروفة بطبقات الصوفية الكبرى لكن "لواقح الأنوار القدسية فى مناقب العطاء والصوفية" للشعراوى المعروفة بالطبقات الوسطى أتم من ناحية التراجم ولها ذيل مفيد للمؤلف وكلاهما موجود فى دار الكتب المصرية كما سبق. (ز)

وهذا كان هو الحقيق بالطبع قبل تلك، وقد ترجم لدمرداش رحمه الله أيضا نجم الدين الغزى عالم الشام فى "الكواكب السائرة فى أعيان المائة العاشرة" بمعنى ما فى "الطبقات الوسطى" للشعراوى، وذكر الشيخ الحسن الجركسى والشيخ محمدا الحانوتى والشيخ كريم الدين بن الزيات فى عداد خلفائه، وزاد قائلا: (قال العلانى: كان على سمت حسن يأكل الحلال ويطعمه، وكان يعتقد ابن العربى وابن الفارض واستكتب "الفتوحات المكية" وغالب شروح "التائية"، وتوفى فى عصر يوم السبت الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة تسع بتقديم المئنة وعشرين وتسعمائة وأقيم مكانه ولده سيدى محمد .انتهى)، والعلانى هذا هو الحافظ العلامة محمد بدر الدين الحنفى المصرى المتوفى سنة ٩٤٢هـ مؤلف "حوادث القاهرة" من سنة ٩١٧هـ — إلى أواخر سنة ٩٣٤هـ، والعلانى غلط فى وفاة دمرdash بخمسة أيام قدمها على زمن وفاته المنصوص عليه فى كلام ابنه كما سيأتى، وقول الشعراوى: إنه توفى سنة نيف وثلاثين، وقول الأستاذ المرحوم طاهر بك فى "المؤلفين العثمانيين": سنة خمس وثلاثين، وقول الأستاذ المرحوم مصطفى منير بك أدهم فى مقاله فى الأهرام (٧ رمضان ١٣٤٨): سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة كلها أغلاط متبادئة، والصواب ما سننقله من رحلة النابلسى من أنه توفى فى ٢٦ ذى الحجة سنة ٩٢٩هـ..

فسنة ٩٣٨هـ تكون تاريخا لوفاة ابنه الذى قام مقامه بعد وفاته فغلط مصطفى منير بك من توافق الاسم بين الأب والابن فجعل ما للابن للأب، وكان الشيخ محمد هو الذى قام مقام أبيه فى الإرشاد فى الزاوية، وكان يساعده الشيخ حسن الجركسى، وبعد وفاة الشيخ محمد ابن القطب الكبير، تفرد الشيخ حسن المذكور بمشيخة السجادة الدمرداشية فى الزاوية، ثم نقل النجم الغزى من تاريخ الشمس بن طولون الحافظ: (أن الشيخ دمرdash صلى عليه صلاة الغائب بالجامع الأموى بدمشق يوم الجمعة سابع عشر المحرم سنة ثلاثين وتسعمائة، ثم صلى عليه بالعمارة السليمية بالصالحية فى الجمعة التى تليها) ثم قال: (ولعل ذلك لاعتقاده

الزائد فى ابن العربى - رضى الله عنهما ورحمهما رحمة واسعة-)، وكان دمرداش معروفًا بالصلاح قبل أن يتصوف أيضًا حتى إنه كان بعد فراغه من خدمة قايتباى يطفى النور فى غرفته بالقلعة ويتعبد ويقول: "إن الزيت لخدمة السلطان فلا يصح لى أن استعمله فى غير ذلك" حتى وشى الواشون بأنه يتظاهر بالعبادة فى الظلام ويتسلل بالليل إلى المدينة سعيًا فى الفساد، فظن السلطان به سوءًا ففتش حجرته ليلا فلم يجده فيها فكاد أن يصدق الواشين فإذا هو فى حافة الحوض يتوضأ فى الظلام، فزال سوء الظن به من السلطان حتى كان يستخدمه فى صنوف الخير إلى أن أعفاه من الخدمة فتفرغ لعبادة ربه^(٢٣)، وللشيخ دمرداش الكبير مؤلفات منها: (القول الفريد فى معرفة التوحيد) فى نحو أربعة عشر ورقة، أوله "الحمد لله الواحد الأحد الولي الحميد، الغنى بحمده القديم المجيد، عن تحميد الخلق الحادث الجديد، المنزه فى كبريائه وعظمته عن التقييد والتحديد، المقدس فى ذاته الواجبة الوجود عن النعت والرسم والحد والحدوث والتجديد. وحد ذاته بذاته فهو الملك المجيد. والصلاة والسلام على الدر النضيد، والجوهر الفريد، مظهره الأعلى وسره الوحيد، سيد السادات وأجل العبيد، الأول الآخر الباطن الظاهر المؤمن الشهيد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذوى العقل السديد، والفعل الرشيد، وعلى إخوانه الكُمَّل المحفوظين من الله بالتأييد والتسديد، وعلى ورثته الأفراد المتفردين فى مقام الجمع بالتوحيد، أما بعد: فإن العبد الفقير إلى الله، الفانى فى الله، الباقي بالله، محمد المدعو دمرداش المحمدى يقول: قد سألتنى الأخ فى الله الشاب الصالح، والنجل الزكى الفالح أبو الغنائم والفضائل إبراهيم جعله الله من أوليائه، وجمَّله بملايس أنوار أصفياه، أن أشرح له قول بعض العارفين، من الأولياء الواصلين الكاملين، حيث قال: "من سأل

(٢٣) ولا وجه لاستبعاد النجم الغزى كون دمرداش فى خدمة قايتباى قبل أن يتصوف أصلاً فلو أن أطلع على ما قاله المناوى فيما سبق فى سبب اتصال دمرداش بالحضرمى ما نسب له شفة فى استبعاد ذلك. (ز)

عن التوحيد فهو جاهل، ومن أجاب عنه فهو ملحد، ومن عرفه فهو مشرك، ومن
يعرف لم ذلك فهو كافر" فأجبتة إلى ذلك بما أورده وارد الحق وألقاه في جناني، ونطق
به لسانی، بحسب الاختصار دون التطويل، وحسبى الله ونعم الوكيل، وأقول مستعينا
بالله وأسأله الهداية، للقول السديد فى البداية والنهاية". إلى آخر ما ذكره هناك، وهذا
المدخل ينبئ عن مذاقه فى التصوف كما أن كلماته المنقولة فيما سبق من طبقات
المنافى تدل على مشربه فى علوم القوم، وكذلك ما يورده من الأشعار بمناسبات منها:

عجبت من بحر بلا ساحل	وساحل ليس له بحر
وصحوة ليس لها ظلمة	وليلة ليس لها فجر
وكرة ليس لها موضع	يعرفها الجاهل والحبر

*

بتنزيه توحيد الإله أقول	وذلك نور ما لديه أقول
وتنزيهه ما بين ذات ورتبة	وإن الذى يدري به لقليل

*

جمالك فى كل الحقائق سائر	وليس له إلا جلالك سائر
--------------------------	------------------------

*

لقد كنت دهرًا قبل أن يكشف الغطا	إخالك أنى ذاكر لك شاكر
فلما أضاء الصبح أصبحت شاهدا	بأنك مذكور وأنك ذاكر

*

إن جئت أطلبه لا ينقضى سفرى	أو جئت أحضره أوحشت فى الحضر
فلا أراه ولا يغيب عن بصرى	وفى ضميرى ولا ألقاه فى عمرى

وللشيخ دمرداش الكبير إمام بعلم الأوفاق والحرف والزائرجة والرمل، وقد تلقى ذلك منه الشيخ كريم الدين الخلوتى — أجل خلفائه بعد الشيخ حسن الجركسى كما فى "طبقات المناوى" فى ترجمة الشيخ كريم الدين هذا، وقال الأستاذ الكبير صاحب المؤلفات الخالدة الشيخ عبد الغنى النابلسى - رحمه الله - فى رحلته الكبرى المسماة بـ "الحقيقة والمجاز فى رحلة الشام ومصر والحجاز" عند ذكره لزيارته ضريح الشيخ دمرداش المحمدى بمصر فى يوم الثلاثاء الرابع عشر من جمادى الثانية من سنة اثنتين ومائة وألف ومعه الشيخ زين العابدين البكرى^(٢٤) - رحمه الله: (.. حتى وصلنا إلى زاوية الشيخ الإمام العارف الهمام محمد دمرداش لمحمدى الجركسى ذى المجاهدات الغزيرة والفضائل الشهيرة) ثم ساق ترجمته من طبقات المناوى" على طبق ما سبق ثم قال: (فدخلنا إلى زاويته وقصدنا مكان قبره وإذا هو جامع، لأنواع المحاسن جامع، وبرق سره الشريف فى هاتيك الجهات لامع، ووففنا عند قبره نحن ومن معنا وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى، وعليه ما لا يوصف من النور والمهابة، والله ولى الإجابة، وبقربه قبر كبير فيه أولاده وذريته أيضا فزرناهم وقرأنا لهم الفاتحة، وجلسنا هناك فى ذلك الجامع حصّة من الزمان، مع الشيخ زين العابدين البكرى - حفظه الله - وبقية الإخوان، وقد تلقانا بعض ذريته الحاضرون هناك، وأخرجوا لنا شيئا من تصانيفه وبعض الكتب الموقوفة من خزانة هناك، وعلى ذلك المكان قبة، ذات بهجة وسيمة، تسمى قبة الأنوار، لأنها معدن المعارف وكنز الأسرار، ورأينا فى بعض تلك الكتب من خط ولد الشيخ دمرداش وهو الشيخ محمد ما نصه: (توفى سيدى ووالدى الشيخ الإمام العالم العلامة العمدة أبو عبد الله شمس الدين^(٢٥) محمد دمرداش فى ليلة يسفر عن صباحها نهار الخميس

(٢٤) ولد سنة ١٠٦٠هـ وتوفى سنة ١١٠٧هـ ودفن عند أسلافه بجوار الإمام الشافعى رحمه الله (ز).

(٢٥) ومن هنا يعلم أن لقب القطب الكبير هو شمس الدين وأما التلقب بجمال الدين كما وقع فى بعض كتابات بعض المتأخرين فلا يثبت له سيدى محمد، لا له (ز).

السادس والعشرين من ذى الحجة الحرام سنة تسع وعشرين وتسعمائة بين المغرب والعشاء تغمده الله برحمته..). وهذا نص يقضى على ما سبق من الروايات المغلوطة فى وفاته قدس سره، ثم استمر الأستاذ النابلسى فى كلامه وقال: (ثم خرجنا إلى خارج ذلك المقام، فرأينا تلك الخلوات العظام، نحو خمسين خلوة أو ستين ذات أسرار وأنوار، وهى التى تسمى مساجد الأبرار، يختلئ فيها المريدون ويجتلى فيها حضرات الغيب المسترشدون، ثم صعدنا إلى ذلك القصر العالى، فوجدنا هناك رواقا كبيرا نوره متلئئ، وفيه أيضا كثير من الخلوات، لاستجلاء المريدين بدائع الجلوات، فجلسنا فى ذلك القصر حصة من الزمان مع حضرة الشيخ زين العابدين البكرى، واجتمعنا بأولاد الشيخ دمرdash - قدس سره - وخليفته منهم السيد حسن وهو رجل من الأفاضل ذوى الصلاح والمبرة، وهناك أناس من المجاورين). انتهى ما فى "رحلة عبد الغنى النابلسى"، وهذا النص يعطينا فكرا صحيحا عما كان عليه هذا المقام، فى أوائل القرن الثانى عشر الهجرى^(٢٦)، ويفيدنا أيضا أنه كان هناك خزانة كتب تحتوى على بعض مؤلفات الشيخ دمرdash الكبير وكتب أخرى بخط ابنه سيدى محمد وغيره، ولم أطلع من كتب ذلك الولى الكبير على شيء سوى "القول الفريد فى معرفة التوحيد" وهو محفوظ بدار الكتب المصرية و"تحفة الطلاب الرائمين حضرة الوهاب"، أرجوزة فى آداب هذه الطريقة العلوية؛ زيد فى آخرها ما يكمل به السند بعد صاحب المقام من قبل بعض أحفاده رحمهم الله، وهى أيضا من محفوظات دار الكتب المصرية بل طبعت طبعا سقيما، فيا ترى أين ذهب باقى تلك الكتب؟ يحدثنا التاريخ أن الزاوية الدمرداشية انتهت فى عهد استيلاء نابليون على مصر، فتكون تلك الكتب أخذت فيما أخذ من التحف الثمينة، ونقلت إلى فرنسا، فربما يكون البحث هناك عن تلك الكتب معيدا فى

(٢٦) وكذلك تفيدنا الخطط التوفيقية (٤ - ١١٢) عن حالة الزاوية فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى، وأوائل القرن الحاضر. (ز)

الوصول إلى نتيجة تمكن من نقل صورها الشمسية على أقل تقدير، فيتحتّم السعى فى معرفة مصير تلك الكتب الأثرية الثمينة، والسعى بطريقة قد تؤدى إلى الحصول على الضالة المنشودة، وقد ذكر صديقنا المغفور له الأستاذ طاهر بك البروسوى فى "المؤلفين العثمانيين" (عثمانلى مؤلفرى) أنه رأى فى مكتبة الشيخ سنان فى (الاشهر) — فى ولاية إزمير — كتابا للشيخ دمردش سماه "جمع الأسرار وكشف الأسرار" فى تطبيق حكاية وردت فى "منطق الطير" لفريد الدين العطار، بالأنفس على مذاق أهل التصوف، والله أعلم.

وعزا إليه أيضا أن له حاشية على "الأشباه والنظائر" فى الفقه لكن هذا وهم محض لأن الأشباه تأليف العلامة زين بن نجيم المصرى المتوفى سنة ٩٧١هـ — فأنى يتصور أن يعمل الشيخ دمرداش المتقدم الوفاة حاشية عليه؟!، وإنما تلك الحاشية لابن الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله التمرتاشى، وغزى لا مصرى، وفقهه لا صوفى، وإن كان بينهما توافق واشتراك فى اللقب والاسم واسم^(٢٧) الأب، ودمرداش ليس باسم لهذا بل هو تمرتاشى، منسوب إلى أحد جدوده، وهو (خليل بن تمرتاش) من رجال أواخر القرن الثامن الهجرى من القوقاسيين القاطنين إذ ذاك بمصر، وفى تاريخ هذه الأسرة التمرتاشية الغزية كتاب خاص محفوظ فى مكتبة محمد أسعد تحت رقم (٢٢١٢) فى اسطنبول، وليس بين الدمرداشية^(٢٨) المصرية والتمرتاشية الغزية أدنى سبب ولا نسب، فلا يتوهم أن صالح بك البكباشى الجركسى فى الجندرمة المصرية — جد سعادة الشيخ عبد الرحيم بن الشيخ مصطفى الدمرداشى — منحدر النسب من الأسرة الغزية بفرض أن صالح بك

(٢٧) لأن اسم أبى القطب الكبير (عبد الله) كما فى الأصول المعتمدة، وأما كونه تلقى التصوف من الشيخ عبد الطالب النقشبندى فلم أره فى أصل وثيق، بل لا وجود لهذا الاسم فى كتب

النقشبندية على غرابة التسمية به. (ز)

(٢٨) وفى فروع هذه الشجرة الطيبة جزء خاص مطبوع، لكنه فى حاجة إلى بعض تنسيق وتحقيق. (ز)

المذكور هو صالح جلبى — مبدد أموال والده القاضى — بالنيابة لا بالأصلالة — نجم الدين التمرناشى — التاجر فى الأصل — الغزى. القاضى على سمعة أسرته. المترجم له ترجمة سيئة فى تاريخ الجبرتى^(٢٩) فى وفیات سنة ١٢٠٠هـ — (٢) — (١٢٧)، لأن ابن القاضى كان ثريا مترفها بدد أمواله بسوء تصرفه ولم يتوظف قط وأما الثانى فجندى باسل كان يعيش بكد يمينه، وعرق جبينه، فى عداد بكباشية الجندومة المصرية. وفى متناول يد الباحث جميع أحواله فى المصادر الرسمية كما يظهر مما سننقله من كلام الأستاذ المرحوم مصطفى متير أدهم بك. المنشور فى (الأهرام) — ٧ رمضان ١٣٤٨هـ — وهو من أدرى الناس بأحوال هذه الأسرة فى القرن المنصرف والقرن الحاضر، بل كان الأستاذ المغفور له الشيخ عبد الرحيم باشا الدمرداشى يصارح جلساءه بجنسه ونسبه حرصا على الاحتفاظ بأبناء الآباء فى بيئة استحدثتها أسرته، حتى إن طلبة العلم الجراكسة بالأزهر كانوا يزورونه فيحضهم على اكتساب العلم عاطفا عليهم عطفًا خاصا، وقائلا لهم: "نحن أبناء عم" فى شيء من الاعتزاز بجنسه الذى اختاره الله له — كما جبل البشر على ذلك — فحاشاه أن يرضى عزوه إلى جد غير جده، مع ما ورد فى السنة من الزواج الشديدة عن انتماء المرء لغير آبائه، وفى صحيح البخارى: (ومن ادعى قوما ليس لهم فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار)، وغاية ما بين الأسرتين من الصلة هى شراء بعض أثرياء الدمرداشية المصرية من صالح جلى التمرناشى الغزى بعض أملاك، وليس امتلاك شيء من أسرة مما يجعل اتحادا فى النسب بين البائع والمشتري، وسجلات حصر التركة للموظفين تقطع خيال كل متوهم فى هذا الصدد وبتلك النصوص المسرودة فى هذا الفصل يظهر بطلان ادعاء أن دمرداش الكبير

(٢٩) تولى نيابة قضاء أبيار أكثر من عشر سنين وهو يشتريها فى كل دور، وكانت له تصرفات غريبة فى الأوقاف التى كان ناظرا عليها بمراسيم حتى أثرى واشترى نيابة مصر والدار المعروفة فى درب قرمز وسكنها ثم انتقلت بالشراء إلى الدمرداشية المصرية لا بالإرث. (ز)

من تبريز — كما وقع في كلام الأستاذ مصطفى منير بك. وإنما كان تبريز بلد
استرشاده في تهذيب نفسه، لا بلد أسرته وجنسه. فلو كان اطلع على النصوص
المنقولة من المناوى وغيره ما وقع في هذا الوهم الفظيع، وكذلك يظهر بها بطلان قول
طاهر بك البروسوى أنه من (كوتاهيه) — في الأناضول — ولا مانع من أن يكون
شخص يسمى دمرdash نشأ في كوتاهيه لكن ليس كل من يسمى دمرdash هو القطب
الكبير المحمدى. وبذلك النصوص يظهر أيضا بطلان نسب الغزى إلى بلد في خوارزم
— كما توهم ذلك الطحطاوى في حاشيته على "النر"، ورد عليه ابن عابدين.

الفصل الثانى

فى ذكر بعض خلفائه وأولاده وتحقيق أنبائهم وإزالة بعض وجوه التّأسيس فى بعض كتب التراجم.

أول من قام مقام الشيخ الكبير بعد وفاته هو الشيخ محمد أكبر أبنائه المتوفى سنة ٩٣٨هـ وهو المذكور فى كلام العلانى والنجم الغزى وعبد الغنى النابلسى رحمهم الله كما سبق نقل نصوصهم فى ذلك، وكان الشيخ حسن الجركسى - رحمه الله - يرشد المسترشدين فى الزاوية الدرمداشية، وبعد وفاة الشيخ محمد بن دمرداش الكبير تفرد الشيخ حسن بالإرشاد هناك، وقد اتفقت كلمات الشعراوى والمنساوى والنجم الغزى على أن الشيخ حسنا خليفة دمرداش الكبير جركسى كما سبق نقل عباراتهم فى ذلك، وهو المذكور باسم الشيخ حسن الزركشى فى "الخطط التوفيقية" (٣ - ٢٢) عند ذكر جامع الزركشى وضريحه، كما أنه هو المذكور أيضا فى "السلاسل الذهبية" للمرحوم السيد محمد نور السرجانى باسم الشيخ حسن الزركشى مرة وباسم الشيخ حسن الرومى مرة أخرى، فالأول لنسبه والثانى لصناعته قبل التصوف والثالث لكثرة أسفاره إلى بلاد الروم (البلاد العثمانية) لأجل الإرشاد وليس هو بالحسن الرومى صاحب الزاوية بالمحجر فى القلعة، وإليك ما يدل على أن الجركسى والزركشى والرومى هناك شخص واحد، قال الشعراوى فى "الطبقات الوسطى" (١٠١٩و) فى مكتبة زكى باشا^(٣٠): (ومنهم الشيخ الصالح صاحب المجاهدات الكثيرة والرياضة فى أكثر أيامه الشيخ حسن الجركسى أجل خلفاء سيدى الشيخ درمداش صاحبته نحو سنتين. وكان يحبني كثيرا ورأيتُه مرة وقد أدخلني بيته وكشف عن عياله، وأطلعني عليهم، وهذا علامة عندي لصحة الاتحاد فى المحبة مات ﷺ فى ٢٨ شعبان سنة ٩٥٥ هـ ودفن بمنزله داخل باب القنطرة

(٣٠) ومثله فى نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة رقم (١٤٢٣ تاريخ) (ز).

(رحمه الله) يعنى حارة الفراخه بالسيارج اليوم — وقال المناوى فى "الطبقات الكبرى":
 (حسن الرومى خليفة الشيخ دمرداش كان كثير المجاهدة والرياضة حسن التصرف
 والاعتقاد، مليح الإصدار والإيراد، أتقن طريق الخلوتية وخاض من لجهتها على
 أسرارها العلية، ومن كراماته أنه لما سافر من مصر إلى بلاد الروم فسخت زوجته
 النكاح بالغيبه وترك الإنفاق، وتزوجت ببعض الجند فلما حضر الشيخ إلى مصر
 ووجدها قد تزوجت، اجتمع بزوجه وقال له: "طلقها لترجع إلى"، فأبى كل الإباء
 فعاد من عنده وكان عند الزوج أربعة أفراس فأصبحت جميعها موتى فطلقها فوراً.
 قال شيخنا الشعرانى: صحبته سنتين وأدخلنى بيته وكشف لى عن عياله
 وأطلعنى عليهم قال: وهذه علامة على صحة اتحاد المحبة حتى مات سنة ٩٥٥هـ
 ودفن فى بيته بالقرب من باب القوس) — يعنى باب القنطرة بالفراخه قرب مدرسة
 باب الشعرية، وقال أيضا عند ترجمة الشيخ كريم الدين الخلوتى: (ولما دنت وفاة
 الشيخ دمرداش واستخلف الشيخ حسنا، ولم يتعرض له مع نجابته لزم الأدب
 وسكت، ولما احتضر الشيخ قال لولده الشيخ محمد قصرنا فى شأن الشيخ كريم
 الدين مع استحقاقه، أشهدكم أنى أجزته فاكذبوا له وأعطوه جبتى فكتب له ولد الشيخ
 صدرا من الإجازة فمات الشيخ فأكملها بعده.. فاجتمع عليه خلق كثيرون وانتهت
 إليه الرئاسة فى طريق الخلوتية، وعلا قدره وظهر أمره، ولما كثرت جماعته تحول
 إلى زاوية بالقرب من قنطرة (آق سنقر) على الخليج توفى سنة ٩٨٦هـ عن نحو
 تسعين سنة). ودفن بزاويته المعروفة اليوم بجامع الخلوتى — راجع الخطط
 التوفيقية (٤ — ١٠٩) عند ذكره لجامع الخلوتى، وهو كريم الدين محمد بن أحمد
 ابن محمد الخلوتى المعروف بابن الزيات، أخذ عنه شيخ الإسلام أبو الحسن على
 ابن غانم المقدسى الحنفى الفقيه المشهور. والشمس الرملى كبير الشافعية. كما أخذ
 عنه أيضا الشيخ محمود الهدائى التركى حين وروده مصر لينوب عن قاضى مصر
 (ثم سلك عند الشيخ محمد محبى الدين أفتاده الجلوتى فى بروسه حتى أصبح شيخ

مشايخ الجلوتية — فى إسكدار — وتلقى الذكر منه السلطان أحمد الأول العثمانى رحمهم الله). وأما الشيخ محمد الحانوتى المذكور فى عداد خلفاء الشيخ دمرداش فلا يمكن أن يكون هو شمس الدين محمد بن سراج الدين عمر الحانوتى الفقيه ابن الفقيه، الورع ابن الورع لأنه إنما ولد قبل وفاة الشيخ بسنة فقط كما يظهر من "خلاصة الأثر" للمحبى فلا يتصور أن يكون خليفة عنه، وإن كان هو وأبوه من الورعين الأبرار، ويحتمل أن يكون أصل الكلام (أبو محمد الحانوتى) فسقط من الناسخ لفظ (أبو) فيكون الخليفة هو (أبا محمد) سراج الدين عمر الحانوتى الفقيه الحنفى صاحب الفتاوى — المتوفى سنة ٩٧٠هـ — كما فى ذيل "الطبقات" للشعراوى — فغاية ما يمكن للابن، أن يحمله أبوه وهو ابن سنة إلى الشيخ دمرداش فيدعو له الشيخ وينال بركات دعواته، ثم لا يبعد أن يكون الحانوتى محرفا من الخلوتى فيكون هو كريم الدين بن الزيات لأنه معروف بالشيخ محمد الخلوتى فيكون الناسخ هو الذى جعل كريم الدين، ومحمدا الخلوتى شخصين بالتصرف فى العبارة المنقولة فيما سبق لكن يصرفنا عن هذا الاحتمال وتحميل تبعة التحريف على ناسخ مجهول مفروض، تطابق نسخ المناوى والنجم الغزى وعبد الغنى النابلسى فى جعلهما شخصين، والله سبحانه أعلم بحقيقة الحال، والشيخ عبد الرعوف المناوى صاحب "طبقات الصوفية" يسوق سند نفسه فى الطريقة الدمرداشية عن الأخوين العارفين الشيخ عبد الله بن محمد بن عبيد المعروف والده بالصبان المتوفى سنة ١٠٠١هـ والشيخ محمد تركى الخلوتى المتوفى سنة ١٠٠٧هـ، وهما أخذوا عن الشيخ كريم الدين عن الشيخ دمرداش الكبير - رضى الله عنهم أجمعين - وهما مدفونان فى حارة بهاء الدين بن السيارج تجاه مدرسة ابن حجر، وقد ترجم لهما المناوى، وأما السيد محمد بن على السنوسى الصوفى المشهور فقد ساق سنده فى الطريقة الخلوتية الدمرداشية فى "السلسيل المعين فى أسانيد الطرق الأربعين" بطريق العارف بالله سيدى محفوظ بن عبد القادر الخلوتى عن الإمام الفرد الأكمل شيخ زمانه سيدى

محمد الدمرداشي عن والده الشيخ حسن الرومي - وهو المذكور فيما سبق باسم الزركشي مرة وباسم الجركسي مرة أخرى - وهو أخذ عن أستاذه شيخ التحقيق سيدي محمد المعروف بدمرداش - قدس سره - ومثله في "تبيان وسائل الحقائق في بيان سلاسل الطرائق" للشيخ كمال الدين الحريري - رحمه الله - وهناك شيخ آخر من أصحاب المواجيد يسمى حسين جلبى العينتأبى الرومي رفيق الشيخ دمرداش عند الشيخ عمر الروشنى، أتى معه إلى مصر ومات بها ودفن بالزاوية الدمرداشية كما في "مرشد الزوار" وغيره، وقد استفاد من صحبة حسين جلبى: الشيخ شاهين الدمرداشي الخلوتي^(٣١) كما هو مذكور في ترجمة الشيخ شاهين في "طبقات المناوى"، وشاهين كان زميل الشيخ دمرداش في خدمة قايتباى وفي رحلته الثانية إلى تبريز، لكن حيث سبق أن صحبه واستفاد منه نسب دمرداشيا - رضى الله عنهم، ونفعنا بنفحاتهم ورفع منازلهم فى الجنة.

(٣١) وهو من شيوخ الحافظ محمد بن يوسف الصالحى الدمشقى مؤلف "السيرة الشامية الكبرى" المشهورة كما يظهر من "مطلع النور فى فضل الطور" له، ولشاهين من الشيوخ فى التصوف والعلوم نحو ستين شيخا، ومدفنه يطل على القرافة فى سفح جبل المقطم فوق ابن الفارض، وهو صاحب ذلك الجامع المتخرب هناك مع كونه كثير الأوقاف وكان عامرا عند قدوم عبد الغنى النابلسى مصر سنة ١١٠٢هـ ووصفه وصفا جيدا وذكر المدفونين فى الضريح الشاهينى فى رحلته الكبرى وترجم له فيها كما ترجم له الشعراوى والمناوى والنجم الغزى وصاحب "الشذرات"، راجع "الخطط التوفيقية" (٥ - ٣٠)، وله مكاشفات وكرامات مدونة فى كتبهم رضى الله عنهم أجمعين، ومثله ليس ممن يهمل جامعه ومقامه (ز).

الخاتمة

فى ذكر بعض المشايخ المتأخرين من أهل هذه الطريقة مع بيان بعض من تولى مشيخة الزاوية الدمرداشية من الذين اتصل نسبهم بدمرداش الكبير من جهة الأمهات فقط.

قال الجبرتي فى "عجائب الآثار" (١ - ٢٦٥): (السيد الأجل فخر أعيان الأشراف المعتبرين السيد محمد بن الحسين الحسينى العادلى الدمرداشى، ولد بمصر قبل القرن بقليل - يعنى قبل تمام المائة الأولى بعد الألف - وأدرك الشيوخ وتمول وأثرى وصار له صيت وجاه وكان بيته بالأزبكية يرد عليه العلماء والفضلاء، وكان واحدا فى شأنه، وكلمته مقبولة عند الأمراء والأكابر، ولما تولى أبو هادى الوفاى - رحمه الله - يعنى نقابة الأشراف - كان يتردد إلى مجلسه كثيرا، توفى سنة ثمان وسبعين ومائة ألف).

وفى "الخطط التوفيقية" عد الشيخ العادلى هذا، من ذرية الشيخ دمرداش الكبير لكن لا دليل على أن ذلك من جهة الأب بل هو دمرداشى الطريقة فقط على ما أرى، وعنه أخذ الشيخ عثمان، وعن الشيخ عثمان أخذ ابنه الآتى، والعادلى أخذ الطريقة عن النور محمد بن عبد الرحيم عن أبيه عن محمد ابن الشيخ حسن الجركسى عن أبيه القطب الكبير، وقال الجبرتي أيضا فى "تاريخه" (٢ - ٦٠) عند ذكره لوفيات سنة ١١٩٤هـ: (وفيه مات السيد الأجل الوجيه الفاضل السيد محمد ابن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم بن مصطفى^(٣٢) ابن

(٣٢) أظن أن هنا سقوط اسم بالنظر إلى ما تقرر عند النسابين أن كل مائة سنة لا تقل عن ثلاثة رجال، فلعل الأصل (مصطفى بن محمد بن القطب الكبير سيدى محمد) فأسقط الناسخ اسم (محمد) الابن ظنا منه أنه مكرر خطأ مع أن محمدا هذا مشهور، نعم لدمرداش الكبير ابن يسمى مصطفى كما سبق نقلنا من "الطبقات الوسطى" للشعراوى لكن لا ندرى ما إذا كان عاش وخلف فليحرر (ز).

القطب الكبير سيدى محمد دمرداش الخلوتى، ولد بزاوية جده ونشأ بها، ولما توفى والده السيد عثمان جلس مكانه فى خلافتهم وسار سيرا حسنا مع الأبهة والوقار وتردد الأفاضل إليه على عادة أسلافه، وكان يعانى طلب العلم مع الرفاهية.. ولازم المرحوم الوالد هو وأولاده السيد عثمان والسيد محمد المتولى الآن فى مطالعة الفقه الحنفى وغيره فى كل يوم بالمنزل ويحضرون أيضا بالأزهر على الأشياخ المترددين إليهم بالزاوية مثل الشيخ محمد الأمير^(٣٣) والشيخ محمد العروسى والشيخ محمد بن إسماعيل النفراوى والشيخ محمد عرفة الدسوقي وغيرهم، وكان إنسانا حسن العشرة والمودة، وتوفى رابع عشر رمضان من السنة ودفن بزاويتهم عند أسلافهم)- رحمهم الله تعالى. والشيخ محمد الذى يقول عنه الجبرتى عند ذكر أولاد الشيخ محمد بن عثمان المتوفى سنة ١١٩٤هـ: (والسيد محمد المتولى الآن). هو الذى تولى المشيخة بعد وفاة والده المذكور وأدرك احتلال الفرنسيين لمصر، ثم تولى أخوه الشيخ مصطفى وعاش إلى سنة ١٢٥٠هـ وتوفى فيها، وكانت له بنتان السيدة ستيّة والسيدة صفية، ولم يكن له ابن فزوج أولاهما لصالح بك الجركسى البكباشى فى الجندرمة حيث كان أحبه لكونه موصوفا بجمال الخلقة وكمال الخلق والبسالة فرزق صالح بك المذكور من السيدة ستيّة بالشيخ مصطفى (والد عبد الرحيم باشا) وزوج بنته الأخرى الست صفية، لأحد أصحاب صالح بك المذكور وهو الذى تولى المشيخة بعد وفاة حمّيه السيد مصطفى بن محمد بن عثمان الدمرداشى سنة ١٢٥٠هـ باسم الشيخ عثمان، وهو أخذ الطريقة عن حميه المذكور واستمر على المشيخة إلى أن توفى سنة ١٢٦٩هـ، وكان يسعى لجعل المشيخة فى ذريته لكنه لم ينجح بل وقع الاختيار بعد وفاته على الشيخ مصطفى بن صالح بك الجركسى:

(٣٣) توفى سنة ١٢٣٢هـ، والعروسى سنة ١٢٤٥هـ والنفراوى سنة ١١٨٥هـ والدسوقي سنة ١٢٣٠هـ - رحمهم الله. (ز)

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مِنْ قَادَةِ إِلَيْهِ تَجَرَّرَ أَذْيَالُهَا
فَلَمْ تَكْ تَصْلَحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُنْ يَصْلَحْ إِلَّا لَهَا

فتولى الشيخ مصطفى المشيخة بعد أن سلك بيد الشيخ إسماعيل قاسم النقيب الدمرداشي الآخذ عن جد الشيخ مصطفى لأمه، وقال الأستاذ المرحوم السيد مصطفى منير بك أدهم في مقاله المنشور في (الأهرام) - ٦ فبراير ١٩٣٠ م - عن صالح بك والد الشيخ مصطفى (إنه جركسى وإنه دخل فى سلك رجال الجندرية العسكرية وارتقى إلى رتبة البكباشى تحت قيادة المرحوم حسن بك رحى التركمان الصنّجق صهر المرحوم محمد بك البيرقدار محافظ دمياط أيام العزيز محمد على. وقبره بشارع الطحاوية بقرافة الإمام الشافعى رحمه الله)، واستمر الشيخ مصطفى على المشيخة مواظبا على العبادة والإرشاد إلى أن توفى سنة ١٢٩٤ هـ ثم تولى المشيخة بعده نجله الشيخ عبد الرحيم باشا ابن الشيخ مصطفى بن السيد صالح بك الجركسى البكباشى، بعد أن أخذ التصوف عن والده وتفقه فى مذهبه على شيخ الإسلام عبد الرحمن الرافعى الحنفى وغيره.

وقام بأعباء المشيخة خير قيام، ووسع أوقاف الزاوية. واسترد المغصوب منها، وجدد عمارتها على وجه النّمام والكمال، وزاد ما يزيد بها جمالا ولا يسع المقام ذكر ما له من المآثر العظيمة وهى مشهودة ملموسة، والمستشفى الدمرداشى المائل أمامنا خير مثال لأريحيته العظيمة وهمته القعساء، ولم يرزق بولد ذكر بل كانت له بنتان^(٣٤) رزقت كبراهما بولدين هما السيد إبراهيم أدهم الدمرداشى والسيد عبد الرحيم مصطفى الدمرداشى وقد نبغا فى الرياضيات وعلم الهندسة، وأما الصغرى فأنجبت أشبالا كراما مثل السادة الأساتذة الشيخ عبد الرحيم بن مصطفى مختار الدمرداشى شيخ السجادة الدمرداشية وأشقائه الأفاضل: أنجال صاحبة

(٣٤) وقع اختياره للمصاهرة بهما على فاضلين من بنى قومه، كما فعل جد والده لأمه على ما سبق. (ز).

العصمة السيدة المصونة قوت القلوب^(٣٥) الدمرداشية كريمة سعادة الشيخ عبد الرحيم باتشا الدمرداشي المتوفى يوم الأربعاء خامس رمضان، سنة ١٣٤٨هـ عن ثمان وسبعين سنة - أسكنه الله في أعلى غرف الجنان - وخلفه على السجادة الدمرداشية أكبر أنجال كريمته السيدة المصونة، الشيخ عبد الرحيم بن مصطفى محتار الدمرداشي، ولصغر سنه إذ ذاك تولى النيابة عنه السيد الوجيه الحاج أمين الصياد الجوهري - رحمه الله - وأما الآن فقد أصبح السيد عبد الرحيم الدمرداشي المذكور ابن بجدة المشيخة يقوم بأعبائها خير قيام كما هو مشهود، وقال الأستاذ مصطفى منير أدهم بك في مقاله السالف الذكر. (ولكثره ما كان بالزاوية من أئمن الهدايا التي كانت ترد إليها من اسطنبول والعراق والعجم والشام وفلسطين وبلاد الغرب ومصر وغيرها من أتباع ومحبي سيدنا الدمرداش رحمه الله طمعت فيها الفرنسيون أيام وجودهم في مصر فنهبوها مع ما كان معها من نفائس الكتب والوثائق.. ولولا ما كان محفوظا في بعض بلاد الدلتا والصعيد عند أتباعه وفي صدور مريديه لما اهتدينا إلى شيء من تاريخه رحمه الله).

ويظهر من ذلك أن الأستاذ المرحوم ما كان اطلع على المصادر التي ذكرناها ولذلك نجده يغلط في مقاله فيما يتعلق بأحوال الشيخ دمرداش الكبير نفسه. وليست الأنباء التاريخية مما يقبل عن كل من هب ودب بل يجب تنسيق تلك

(٣٥) وموقف عصمتها المشرف ضد التبرج العصري الممقوت، مما يسجل لها التاريخ بكل اكبار، كما أن مبرأتها المعروفة في الحجاز ومصر والشام، وسعيها المشكور في نشر حبر راث علماء هذه الأمة بمعرفة رجال العلم والأدب، وإصدار (إمتاع الأسماع) ذلك المصنف المسموع في السير النبوية بمناسبة ذكرى والدها العظيم - وسبق أن تحدثت عن ذلك في مجلة الإسلام (٢ - ١٣٥٩هـ) - مما يخلد لها في صفحات التاريخ بكل إجلال وتقدير، طال الله بقاءها في خير وعافية، ووفقها للمضي على إحياء مآثر علماء هذه الأمة مما يعود على المجتمع بكل خير، وعلى عصمتها بكل مثوبة وفخر، يوم تقاعس الرجال عن لزامهم بتنقيف الأمة والنشء الحديث تنقيفاً عالياً إسلامياً يصونهم من التحلل والتحلل بتركهم السعي في إحياء مآثر أئمة هذه الأمة مسترسلين في تقلد تقاليد الغرب كلها بدون تمييز. أيقظنا الله سبحانه من غفوتنا وأرشدنا لما فيه رضاه. (ز)

المحفوظات التى يشير إليها الأستاذ، وتمحيصها تمحيصا علميا بعرضها على محك النقد الصحيح لتصفية المقبول من المردود.

وقد حققت بتوفيق الله سبحانه كثيرا مما يتعلق بتاريخ هذه الطريقة وأحوال رجالها منذ قديم بنصوص جعلتها بين أقواس مع تعيين مصادرها إرجاعا للحق إلى نصابه بمبلغ علمي، ولم يكن من قصدى تسجيل الحاضر، لأنه سهل ميسور لكل ناظر، وقد ألممت بالغابر بقدر استطاعتى تمهيدا لعمل ما هو أتم وأجمع من كل ناحية لمن يريد ذلك، وفى الختام نستنزل الرحمات على أجداث جميع السادات، أصحاب الخيرات والمبرات، ولا سيما جدت ذلك الهمام المقدام صاحب السعادة الشيخ عبد الرحيم الدمرداشي، صاحب تلك المآثر الخالدة - أعلى الله تعالى منزلته فى الجنة - وأطال بقاء صاحبة العصمة السيدة المصونة كريمته البارة مع أنجالها الأساتذة فى خير وعافية وسعادة وحسن قيام بما يعود على المجتمع الإسلامى عامة وعلى الأسرة الدمرداشية خاصة بكل خير مع التوفيق فى جميع الأعمال لصالح الإسلام والمسلمين وغفر لنا ولهم ولسائر المسلمين.

وقد تم تحرير هذه الرسالة بيد مؤلفها الفقير إلى الله سبحانه محمد زاهد بن الحسن الكوثرى عند أذان الظهر من يوم الخميس أول شهر رمضان المبارك من سنة ١٣٦٤هـ. بتوفيق الله جل جلاله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

من تراث الكوفة

